

المجلد: 06، العدد: 02 (2022)، ص 593-603

أحمد طالب الإبراهيمي ونضاله الثوري

Ahmed Taleb Al-Ibrahimi and his Revolutionary Struggles

✍ **موسى لوصيف**
جامعة قسنطينة 02 (الجزائر)
mloucif9@gmail.com

المعلومات المقال	المخلص
تاريخ الارسال: 2022/10/01 تاريخ القبول: 2022/11/27 الكلمات المفتاحية: ✓ أحمد طالب الإبراهيمي ✓ قيادة ✓ اتحاد طلاب ✓ الثورة الجزائرية	يعتبر احمد طالب الابراهيمى من أبرز الطلاب الجزائريين الذين ناضلوا من أجل القضية الوطنية في الشتات وكان مساهما فعالا في التعريف بالثورة الجزائرية للطلاب الفرنسيين والأجانب. ما هو دوره في تأسيس اتحاد الطلاب الجزائريين في سنة وهل تمكن فيما بعد الثورة أن يتأقلم مع بن بلة وكيف استطاع ان يساير توجهات الرئيس هواري بومدين وماهي انجازاته في الميدان التعليمي والثقافة في عهد بومدين وفي الأخير يمكن ان نقول ان طالب الابراهيمى تمكن ان يحافظ على مبادئه في ضل التوجهات العامة للقيادة الثورية في تلك الفترة حيث ساهم في اعطاء نمط جديد في الثقافة والتربية لسنة 1955.
Article info	Abstract:
Received: 01/10/2022 Accepted: 27/11/2022 Key words: ✓ Ahmed Taleb Brahimi ✓ active contributor ✓ Algerian Revolution	Ahmed Taleb El Ibrahimi is considered one of the most prominent Algerian students who struggled for the national cause in the diaspora and was an active contributor to introducing the Algerian Revolution to French and foreign students. What was his role in establishing the Algerian Students' Union in one year? and was he able, after the revolution, to adapt to Ben Bella? and how was he able to keep pace with the directions of President Houari Boumediene? and what are his achievements in the field of education and culture during Boumediene's era? In the end, we can say that Taleb El Ibrahimi was able to maintain his principles in light of the general trends of the revolutionary leadership in that period, as he contributed to giving a new pattern in culture and education for the year 1955.

يعد أحمد طالب الإبراهيمي من أبرز الطلبة الجزائريين الذين ناضلوا من أجل القضية الوطنية في المهجر وخاصة في فرنسا، فكان مساهما فعالا في التعريف بالثورة الجزائرية في الأوساط الطلابية الفرنسية والعالمية، ولعب رفقة الشباب الجزائريين من الطلبة دورا هاما في تأسيس اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في جويلية 1955 في باريس، ولعب هذا التنظيم دورا في تنسيق الجهود فيما بين الطلبة خدمة لوطنهم.

عكف أحمد طالب الإبراهيمي ورفاقه في قيادة اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين على تلبية الواجب الوطني سرا وعلنية وبمشاركة الطلاب على الصعيد العالمي، فبلور اتحاد الطلبة مع هذه المنظمات مفاهيم الاستقلال ومعاداة الاستعمار والحقوق في إطار العلاقات الدولية، مما جعلهم يكسبون الرأي العام الفرنسي، لا سيما النخبة منهم المثقفة، وتعاطف التنظيمات الطلابية بمختلف جنسياتها مع الثورة التحريرية الجزائرية.

أما بعد الاستقلال فرفض مسaire الرئيس أحمد بن بلة لأسباب إيديولوجية فاصطدم مع النظام القادم ورفض كل المناصب التي عرضت عليه وعندما حدث التصحيح الثوري فقد احتفظ بدوره كمثقف نقدي لكن في الحقيقة ان مسابرة للرئيس بومدين كانت صعبة فقد عاش حالة توتر بين رغبته في قبول النظام وضرورة احتفاظه بمهمته النقدية.

1. أضواء عن سيرة أحمد طالب الإبراهيمي

طبيب ومثقف وأديب وسياسي وإطار دولة، مثقف ثقافة مزدوجة عربية وفرنسية، من مواليد قرية أولاد براهم ولاية برج بوعريرج حاليا وسطيف سابقا بتاريخ 5 جانفي 1932، ابن العلامة والمصلح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي¹، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشأ في مدينة تلمسان التي كانت مقر والده كمصلح. عرف عنه بالنشاط الثوري في فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا، تعرض للسجن سنة 1957 وهو طالب في كلية الطب ومساهم في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في فرنسا وسجن إلى غاية 1961².

بعد فترة قضاها في دراسة الطب في جامعة الجزائر التي كانت حkra على أبناء الكولون والأقدام السوداء، قرر أحمد طالب وبتشجيع من أحد زملائه بإتمام الدراسة في فرنسا، عندها كتب يقول في هذا الشأن: "عدت مع والدي بعد رحلة مشرقية إلى الجزائر في أكتوبر 1954 وكنت أظن أنني سأنتهي براحة بال دراستي الطبية في الجزائر لكن رنة هاتف غريبة قلبت الأمور رأسا على عقب، وبالفعل اتصل بي زميلي وصديقي عبد الرحمان حاجي من جيجل وأخبرني أنه تقرر تحويل ملفه من كلية الطب في الجزائر إلى باريس وأضاف أن أباه لن يوافق على ذلك إلا إذا سافرنا معا، وبدوري كان علي أن أقنع والدي..."³.

تحدث أحمد طالب الإبراهيمي عن سفره للدراسة والعلم في عاصمة فرنسا باريس، وذكر تفاصيل عنها في أحيائها الراقية ومعالمها التراثية الساحرة وعمرانها الذي أعطى لها عمقا تاريخيا وتزامن وجوده هناك في أول يوم من اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في 1 نوفمبر 1954، وبالصدفة تصفح أخبارها في الصحف الباريسية

لا سيما جريدة فرانس سوار الكثيرة المقروئية يقول: "في شارع سان ميشال علمنا باندلاع الثورة في الجزائر من عنوان كبير في صدر جريدة فرانس سوار، وبعد أن أفرغت من قراءة المقال أصبحت تائها كالمراوح بين اليقظة والنوم إلى درجة أنني لا أحتفظ بأية ذكرى عن ذلك اليوم وعن لقاءاتنا الأولى، ولحسن حظي أن زميلي حاجي كان برافتي. تداخلت الصور في رأسي، هل سيتحقق حلم جيل كامل؟ هل هي حقاً الثورة التي طال انتظارها؟ هل سيواصل الشعب الجزائري كفاحه المسلح؟..."

1.1. أحمد طالب الإبراهيمي في باريس: بين دراسة الطب والنضال الوطني

دامت إقامة أحمد طالب الإبراهيمي في باريس من غرة نوفمبر 1954 إلى 27 فيفري 1957، أي إلى يوم اعتقاله من قبل مصالح الشرطة الفرنسية. مدة سنتين وأربعة أشهر كانت كثيرة النشاط والفعالية من جانب الدراسة والنضال أو كما عبر عنها هو قائلاً: "خصبة وغنية لا تقدر بثمن وعلى كل المستويات، دراسة وثقافة عامة ونشاط سياسي... خصصت أيامي الأولى في باريس الخريفية لمختلف الإجراءات التي يقوم بها الطالب مثل تأكيد تحويل الملف الجامعي وكل الإجراءات الإدارية التي يقوم بها الطلبة".

كنت أجلس رفقة صديقين أكبر منا سناً لنستفيد من تجاربهما وعلمهما وهما محمد الشريف ساحلي ومصطفى الأشرف اللذان لم أكن أعرفهما من قبل إلا من خلال مقالاتهم التي كانا يرسلانها إلى في دورية "الشباب المسلم" وهناك أيضاً عبد الرحمان شريط وبلعيد عبد السلام ومسعود آيت شعلال ورضا مالك والعايشي ياكراً⁴.

وعن دراسته في كلية الطب تحدث أحمد طالب عن طموحه العلمي وتسجيله في السنة الخامسة وجهوده المضنية من أجل تحقيق النجاح بين الجانب النظري والتطبيقي قائلاً: "كنت أقضي الفترات الصباحية في مختلف المستشفيات الباريسية بحسب التبرعات، مستفيداً من دروس كبار الأساتذة من أمثال روبير دوبري بقسم الأطفال بمستشفى نيكرو، وجون دولاي في مستشفى القديسة آن. وفي الظهر كنت أتابع الدروس النظرية في الكلية، وإن لم تكن بنفس المستوى. وقد تعلمت من الأساتذة سالف الذكر صرامة الفحص الإكلينيكي التي يخفف من حدتها الوعي بشقاء الإنسان"⁵.

لم تنسيه الدراسة متابعة الفنون من السينما والمسرح والموسيقى، فقد كان من هواة المسرح والكوميديا الفرنسية. وفي باريس اكتشف أحمد طالب الموسيقى الكلاسيكية الغربية، فكان متبعاً ومحباً لموسيقى بيتهوفن وألحان شوبرت الليدية ومغرم بالموسيقار جون سيباستيان باخ. ثم أصبح من هواة موسيقى الجاز وكان من رواد الأولمبيا. وكان يهوي السياحة لا سيما النصب التذكارية في باريس وحدائقها ومتاحفها. ومن خلالها تعرف على الجانب المادي والإرث الحضاري والثقافي للغرب خاصة فرنسا، مما جعله يكسب ثقافة الآخر ويوسع من مداركه وثقافته وعبر عن ذلك قائلاً: "هكذا تجلت في ذهني بديهتان هما: - تعدد الحضارات من جهة وضرورة الحوار بين هذه الحضارات من جهة أخرى، وبدا لي أن مثل هذا الحوار يمر بالبعد الروحي غير أنني لم أجد هذا البعد عند المفكرين الكبار لذلك العهد... كنت بالتأكيد معجبا بكامو خصوصاً في كتاباته في جريدة كومبا،

وكان التقارب في شخصيتي هو شخصية إيمانويل موني، وجدت في كتاباته تعبيراً عن أفكاري في أقصى وأجلى صورها⁶.

رغم الحاجة إلى مصادر مالية تعيله على متابعة ما تعرفه فرنسا من حركية ثقافية حيث كانت المحنة الشهرية التي ترسلها العائلة تصرف في بين كراء الغرفة والنقل وما بقي منها خصص النسبة الكبيرة منها لمتابعة العروض الفنية، وكان يستعين رفقة زميله لكسب بعض المال في تأدية أدوار كممثلين صامتين في مسارح صغيرة أو غسل الأواني والصحن في المطعم الجامعي المخصص للطلبة المرضى⁷.

2.1. تأسيس اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين

عكف أحمد طالب الإبراهيمي بدعم من رفقاءه الطلبة على تكوين اتحاد طلابي يلم شمل الطلبة الجزائريين في الخارج، ويذكر في هذا الشأن قائلاً: "بداية من صيف 1955، أصبحت أضغ النضال فوق أي اعتبار، أولاً في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ثم بعد ذلك في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، وكنت ربطت الصلة ببعض إدارات الفيدرالية الذين كانوا بعد ما علموا بمشروع إنشاء التنظيم الطلابي يدفعونني للاضطلاع برئاسته. وبالفعل، فقد بذلت جهوداً لإنشاء هذه المركزية لتعويض الجمعيات المحلية العديدة التي تضم مجموعة طلبة المغرب العربي والتي أضعفها إنشاء الاتحاد العام لطلبة تونس".

في بادئ الأمر كان خلافاً حاداً بين الطلبة الجزائريين بخصوص التسمية، لا سيما كلمة "المسلمين" في التسمية، وهنا برزت التوجهات والمشارب الفكرية للطلبة الجزائريين كل حسب التكوين بين مغرب ومفرنس عبر عنه قائلاً: "خلافات ظهرت حول تسميته، هل ينبغي تأسيس اتحاد عام للطلبة الجزائريين كما كان مقترحاً من الطلبة التابعين للحزب الشيوعي الجزائري، أو الواقعين تحت تأثير الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أما إنشاء اتحاد عام للطلبة المسلمين الجزائريين هو الطرح الذي كان يدافع عنه الطلبة المتأثرين بحركة انتصار الحريات الديمقراطية وجمعية العلماء المسلمين. كان الفريق الأول يتهم الفريق الثاني بمحاولة إضفاء مفهوم ديني على الاتحاد بالتركيز على حرف الميم الذي يشير إلى المسلم"⁸.

2. نشاط أحمد طالب الإبراهيمي في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين

في خضم الصراع الإيديولوجي حول تسمية التنظيم الطلابي المولود، تحدث عن المسيرة التي نظمها هو وأصدقاؤه من شارع سان ميشال نحو شارع فيرو لتقدير قوتهم، وتناول أحمد طالب الكلمة علناً وارتجالاً باسم أنصار اتحاد الطلبة المسلمين حيث شرح لهم أن التعليق بكلمة المسلمين يعني الانتماء إلى فضاء حضاري، وبأن النقاش حول كلمة "المسلمين" لا معنى له إلا في جزائر تنعم بالاستقلال. وخلال زيارة فرحات عباس إلى باريس أمر طلبة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بالانضمام إلى جماعة الطلبة المسلمين⁹.

وأبرز الجهود الكبيرة التي بذلها صديقه بلعيد عبد السلام في تنسيق الجهود مع الطلبة الجزائريين في مختلف المدن الفرنسية (باريس، ليون، بوردو، ستراسبورغ، تولوز، مارسيليا)، من أجل انعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يوم 14 جويلية 1955، وخلال كلف أحمد طالب بقراءة الخطاب

الافتتاحي، وخلال المؤتمر شكلت لجنة مديرة من عشرين عضو والتي بدورها انتخبته على رأس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

ويبرز التحديات التي واجهته كمسؤول ورئيس بعد الاعلان عن اختتام المؤتمر التأسيسي قائلا: "وهنا أدركت ثقل الابعاء الملقاة على عاتقي وشعرت ان النضال سيكون طويلا ومؤلما، تحفه الاخطار والتقلبات. واعتبرت نفسي منذ ذلك التاريخ مناضلا للثورة مستعدا للتضحية بكل شيء في سبيلها"¹⁰. كانت له العديد من اللقاءات مع الطلبة الفرنسيين في الجزائر وقد أعرب له هؤلاء عن قناعتهم بأن شعبا لا يمارس بكل حرية شعائره الدينية ولا يتعلم لغته، لا يمكنه إلا أن يثور، حيث كرروا كلمات مثل الكرامة والعدل والادلال.

وفي باريس، كان أحمد طالب يقضي يومه صباحا في المستشفيات وبعد الظهر في مكتب الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وخلالها تكونت الفروع الطلابية في المدن الجامعية الفرنسية، وكذا فرع الجزائر والذي كان يديره محمد الصديق بن يحيى والأمين خان. وتكثف نشاط الاتحاد وكان يرأس الاجتماعات الاسبوعية للجنة التنفيذية واجتماعات اللجنة المديرة. وبرزت أسماء محمد منتوري وعلاوة بعطوش ومحمد العربي، وهؤلاء شهداء. تم إنشاء مجلة "الطالب الجزائري" والتي كان لسان حال الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ورغم قصر فترة نشاطها، إلا أنها عبرت عن اهتمامات ومشاكل الطالب الجزائري¹¹.

تكفل احمد طالب بالاتصال بشخصيات فرنسية عديدة بمختلف مستوياتهم ووظائفهم منهم الصحفيين والكتاب والجامعيين وحتى رجال السياسة. ومن هؤلاء فرنسوا مورياك الذي حاول من أجل اقناعه على النشاط لتوقيف التعذيب بالجزائر إلا أنه لم يجد عند تقبل. كما اتصل مرتين مع المثقف ألبير كامو والذي لم يغير موقفه من جبهة التحرير الوطني والتي اعتبرها حليفة القاهرة وموسكو، وأبدى تخوفه من مصير الأقدام السوداء في الجزائر دون أن يتحدث عن معاناة الجزائريين والتعذيب الممارس ضدهم.

كما عمل على كسب ود الإعلاميين والصحفيين في أعرق الصحف الباريسية على غرار صحفي جريدة فرانس سوار وبفضلهم استطاع الرد على ما قاله الرئيس الشرفي للاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين، ومما جاء في قول أحمد طالب الإبراهيمي: "أريد أن أُلح على أنه كان المقصود "المتمردين" رجالا يطالبون بحريتهم ولا يطالبون بها إلا بالسلاح لأن كل الأبواب أوصدت في وجوههم. رجالا يكافحون في سبيل كرامتهم وحقوقهم في الوجود. وإذا كان المقصود بالمتمردين هؤلاء الرجال، فإن كل المسلمين الجزائريين والطلبة جزء منهم، متمردون"¹².

وفي أهم لقاء أجراه أحمد طالب الإبراهيمي مع رئيس الحكومة منديس فرانس، وكان هذا الأخير يسعى لمعرفة موقف الطلبة والشبيبة الجزائرية من جبهة التحرير الوطني ومطالبها. ويذكر أحمد أنه سعى لإقناعه على أن الطلبة الجزائريين المنضوين تحت لواء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين مقتنعون أن مفاوضات مباشرة ودون أي شرط أو قيد مع جبهة التحرير الوطني هي وحدها الكفيلة بإحلال السلم والتعاون المثمر بين فرنسا والجزائر.

كونه رئيسا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، شارك في عدة اجتماعات مغربية، جمعت علاقة صداقة مع مهدي العلوي المغربي، والتونسي حامد القروي. شارك كذلك في عدة تظاهرات منها الاحتفال بذكرى اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد. وزيارة محمد الفاسي الوزير المغربي إلى باريس في 18 جانفي 1956، وكانت له اتصالات مع اتحاد طلبة إفريقيا السوداء الفرنسية، كما شارك في استقبال محمد الخامس عند عودته من منفاه ومروره من باريس، وتناول الكلمة معبرا عن سرور وتضامن الشعب الجزائري.

وفي مارس 1956 كان له رفقة محمد بجاوي لقاءين مع الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة تناقش معه مسألة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني وفيدرالية فرنسا والدعم التونسي للثورة الجزائرية وغيرها من المسائل والقضايا¹³.

وعن نهاية ترأسه للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في مارس 1956، يذكر أحمد طالب الإبراهيمي أنه أتى إليه محمد بجاوي وأمر من جبهة التحرير الوطني بأن يتخلى عن رئاسة الاتحاد ليكرس جهوده للعمل في فيدرالية فرنسا. فدعى أحمد طالب إلى عقد المؤتمر الثاني للاتحاد لتسليم المهام وسط حيرة الطلاب الذين تحجج لهم بأنه بصدد إعداد أطروحة الدكتوراه واقترح على بلعيد عبد السلام الذي رفض بدوره يقول: "قمت بحبس نبض بلعيد عبد السلام"¹⁴ مظهرا رسالة من أبيه يوبخه فيها بإهماله لدراسته وتفضيله للسياسة، وإنذره بضرورة الانصراف للدراسة من الآن فصاعدا، وحاولنا كلانا أن نجد حلا والتقيننا عدة مرات تارة في بيته وتارة في غرفتي في المدينة الجامعية. ولما رضا مالك بدوره الاقتراح، اخترنا مولود بلهوان والذي كان يشغل منصب أمين عام في فريقنا والذي سيصبح الرئيس الثاني للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في مارس 1956¹⁵.

وبعدها دخل أحمد طالب السرية كمناضل في فيدرالية فرنسا، إلى أن أُلقي عليه القبض في 27 فيفري 1957 من قبل مصالح الشرطة الفرنسية وأدخل السجن بفرنسا. وبعد الإفراج عنه باستقلال الجزائر، اشتغل في الطب. سجن مرة ثانية من قبل الرئيس أحمد بن بلة ولم يفرج عنه إلا قبيل الانقلاب عليه من قبل هواري بومدين الذي تحالف مع معه وأسند له وزارة التربية وبعدها وزارة الاعلام والثقافة. وفي عهد الشاذلي بن جديد تولى مهمة وزارة الخارجية. جمع أحمد طالب الإبراهيمي بذلك بين صفة المثقف الأكاديمي والسياسي كإطار في الدولة الجزائرية المستقلة.

3. مؤلفاته

ترك أحمد طالب الإبراهيمي العديد من الكتب المؤلفة والمحققة، والمقالات المنشورة في الجزائر وفي الخارج، نذكر منها على سبيل المثال:

- رسائل من السجن، طبعة الجزائر، 1973.
- مذكرات جزائري، ثلاثة أجزاء، دار القصب، 1972.
- من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، الجزائر، 1972.

وله العديد من المقالات التي كتبها في مجلة الثقافة، نذكر منها:

- المناضل الثوري والالتزام.
- نهاية مرحلة وانطلاقة جديدة.
- طريق الوحدة الإفريقية.
- الثقافة كمفهوم سياسي للتنمية.
- فاتح نوفمبر، يوم الذكرى.
- أفريقيا للأفريقيين.
- مقالات في جريدة الجمهورية وجريدة المجاهد¹⁶.
- أحمد طالب الإبراهيمي ومعارضة بن بلة.

لما تحقق الاستقلال رفض أحمد طالب الإبراهيمي مسابقة الرئيس بن بلة لأسباب إيديولوجية، فاصطدم مع النظام القائم ورفض كل المناصب السياسية التي عرضها عليه الرئيس بن بلة بسبب قناعات فكرية يقول¹⁷: "كم كنت ألاحظ بما لا يدع أي مجال للشك، كم كانت هذه الأوساط تتشدد بعبارات جوفاء، تتم في واقع الأمر عن تنسيق المصلحة الخاصة وبروز نزعة فردانية لا تحدها حدود، وزالت معها تلك الوحدة التي أمكن الحفاظ عليها في كل الأحوال على مستوى الدولة، لم تكن الأمور بأحسن حال حيث لم أكن أرى ذلك الرجل الجديد الذي صنعه الثورة... وكان السباق على أشده للظفر بمناصب الشرف والامتيازات".

يروي في مذكراته أنه شارك في إعداد النصوص التأسيسية لاتحاد الكتاب الجزائريين، لكنه رفض الانضمام إليه بعد أن تمكن دعاة الاتحاد جعله أداة في يد السلطة يقول¹⁸: "كما في إعداد القانون الأساسي للاتحاد، لكن سرعان ما نشب خلاف بين مؤيدي تأسيس اتحاد يكون في خدمة النظام، يدافع عن سياسته وبين من كانوا يرفضون ومنهم أنا"، وكتب طالب أنه كان من أنصار الطرح القائل بأن يجب أن يبقى المثقف في الطليعة ويتمسك بروحه النقدية، الأمر الذي كلفه السجن بعد أن ألقى القبض عليه يوم 12 جويلية 1964.¹⁹

كما رفض الانضمام سنة 1964 إلى اللجنة الوطنية للثقافة بعدما علم أن هذه اللجنة ستكون تابعة للحزب، وأن صديقيه محمد ساحلي ومصطفى الأشرف لم يطلب منهما الانضمام إلى عضويتها، في لقاءه ماي 1964 مع أحمد بن بلة جدد رفضه منصب سياسي، حين اقترح عليه التعاون في المجال الثقافي اشترط عدم ممارسة الرقابة على ما يكتب، بعدها حرر مذكرة يوضح فيها الأسباب التي أبقتة بعيدا عن النظام²⁰ وقد أرجعها إلى تناقضات داخلية:

- **على الصعيد السياسي:** لا توجد هناك أية علاقة إيديولوجية بين أعضاء المجموعة التي استولت على الحكم، كان من المنتظر أن تؤول الأمور بعد إقصاءات متتالية إلى تمركز السلطات في يد رجل واحد، واستعمال دستور 1963 لإضفاء الصبغة القانونية والشرعية عليها.

- على الصعيد الأخلاقي: أن النظام في اختياره للإطارات لم يأخذ في الحسبان إلا اعتبار الولاء ضاربا عرض الحائط بالكفاءة والنزاهة.

- على الصعيد الاقتصادي: قامت سياسة التأميم على الارتجالية.

- على الصعيد الثقافي: ظل الاغتراب على حاله فالكلمة العليا كانت لخصوم التعريب²¹.

كان هذا الموقف الصريح كفيلا أن يجعل من سياسة الرئيس أحمد بن بلة تكون معادية تجاه أحمد طالب الإبراهيمي، فألقي القبض عليه وسجن منذ يوم 12 جويلية 1964 فتم اقتياده إلى قبو تحت الأرض حيث وضع في زنزانة مظلمة، ذات جدران مشققة مليئة بالحشرات من كل نوع وفي وسطها حفرة كبيرة، وظل سجيناً ولم يطلق سراحه إلا قبيل وفاته والده²².

4. أحمد طالب الإبراهيمي وبومدين

هل كان يحق لأحمد طالب الإبراهيمي أن يساند انقلابا عسكريا قاده العقيد هواري بومدين وهو المثقف النقدي المعروف بميولاته الفكرية؟ ألم يقع ضحية الاستعمال من قبل الرئيس بومدين؟

هذه الظاهرة التي انتقدتها في حديث له مع أحمد توفيق المدني، أليس الدور الذي أداه أحمد طالب الإبراهيمي في عهد هواري بومدين هو نفس الدور الذي أداه أحمد توفيق المدني في عهد بن بلة؟

كان على أحمد طالب أن يحتفظ بدوره كمثقف النقدي، لكن في الحقيقة أن وضعه كان ليس بالسهل فقد عاش حالة توتر بين رغبته في قبول النظام وضرورة احتفاظه بمهنته النقدية، المشكلة ليست اتفاق بين المثقفين والحكومة على نقد بناء، يكون هادفا ولكنها مشكلة الحرية، فالمثقف النقدي مهما يكن وضعه فهو بين أمرين:

- إما أن يندمج فيفقد حريته، حرية النقد أو التأييد، حرية التعبير عن الرأي الذي يؤمن به، مهما يكن متفقا أو مختلفا مع الوضع ومهما يكن الوضع اشتراكي أو غيره.

- إما أن يأبى الاندماج فيحتفظ بحريته، حرية النقد والتوجيه.

كتب أحمد طالب الإبراهيمي في مذكراته أن العقيد هواري بومدين تحدث معه قبل الانقلاب بأيام قليلة عن توافق وجهات النظر بينهما، في إشارة منه لأفكار أحمد طالب الواردة في مقاله تأملات حول تخليص الثقافة الوطنية من الاستعمار يقول²³: "أسمعني بومدين هذا الخطاب، حسب ما أعرفه عنك وقرأته لك فإننا نحلم بنفس الجزائر، أي جزائر تعيد الصلة بهويتها الثقافية"، واقترح عليه حقيبة وزارة التربية الوطنية بحكم تجربة والده الشيخ البشير الإبراهيمي في التربية والتعليم قائلا له²⁴: "هل يمكنك أن تنكر أن اضطلاعك بشؤون التربية الوطنية سيكون من شأنه مواصلة عمل والدك"، أبدى أحمد طالب الموافقة للرئيس بومدين يقول²⁵: "عندما نطقت بكلمة نعم لم أكن أدري أنني كنت بصدد الزج بنفسي في غمار تجربة من نوع جديد، سوف تقيدني على امتداد ربع قرن تقريبا بما تفترضه علي من تضحية ونكران للذات".

خلال فترة تولي أحمد طالب لوزارة التربية والتعليم 1965-1970 جعل المكانة الهامة ضمن الثورة الثقافية، واعتبر أن التعليم أولوية الأولويات يقول الرئيس هواري بومدين²⁶: "له الأولوية على كل شيء حتى الخبز، إن

ما نريده المساواة التامة في التعليم لأنه الغذاء الروحي الذي لا يقل أهمية عن الغذاء المادي"، وهو اعتقاد راسخ عنده كونه وسيلة تطوير البلاد، وانطلاقا من هذا قامت سياسته على تحقيق المساواة في توزيعه بين الأفراد والمناطق، بهدف إتاحة الفرص لكل الجزائريين في ظل النظام الاشتراكي المتبع الذي يتكفل بتحقيق العدالة الاجتماعية، وتساهم فيه المدرسة كأداة مثلى لترقية المجتمع وتربيته²⁷.

هدف الوزير أحمد طالب إلى جعل المدرسة جزائرية الروح والمنهج يقول²⁸ : "يجب أن نحدث ثورة حقيقية في نظام التعليم قصد إقامة مدرسة جزائرية، والتخلص من المدرسة الفرنسية ذات المحتوى التربوي الغريب عنا"، كانت معظم خطابه في هذا المحور مبنية على قضية التعريب، في أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم الأساسية ثم تليها في المرتبة بقية اللغات يقول²⁹ : "إن الإطار الجزائري يجب أن ينهل من جميع الثقافات العالمية، وأن يتعلم كل اللغات ولكن هذا لا يكون إلا بإعطاء الأسبقية لتعليم اللغة الوطنية التي هي جزء من شخصيتنا".

تولى الوزير أحمد طالب وزارة الإعلام و الثقافة في فترة 1970-1978 وخلالها عملت الحكومة على إيصال البرامج الإذاعية للقناة الأولى إلى الجنوب، عن طريق القمر الصناعي بدءا من سنة 1975 بسبب اتساع الرقعة الجغرافية والتكاليف والفترة الزمنية، لذلك تم الاتفاق بين الجزائر والمنظمة الدولية للاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية على كراء قمر صناعي قصد ضمان إيصال البرامج ونقلها إلى مدن الجنوب³⁰، ولم يقتصر الاهتمام على الجانب الإداري والمراقبة بل الجانب التقني والمالي³¹، وتم وضع برنامج لتدريب الإطارات والتقنيين على التكفل بتسيير التجهيزات التقنية الجديدة، ووضع بنية أساسية مطابقة للاحتياجات المستعجلة، وبحلول سنة 1978 أصبحت برامج الإذاعة والتلفزة تلتقط وتغطي 98 ٪ من الوطن³².

تم إنشاء وسائل للإنتاج والبث في محطتي قسنطينة ووهران، لكن ما يلاحظ على البرامج التلفزيونية التبعية شبه الكاملة للشركات الأمريكية والفرنسية، وفي غالب الأحيان تتعدى نسبة الإنتاج الأجنبي المقدم يوميا في التلفزة نسبة 55 ٪ من الإنتاج، فإذا تم استثناء نشرات الأخبار والمسلسل العربي تكاد 100 ٪، يعترف الوزير أنه لم يستطع فرض البعد الثقافي في التلفزة التي كانت تقتصر على السياسة والرياضة، ورغم ذلك فقد كانت التلفزة والإذاعة تستجيب لانشغالين اثنين تنمية الإنتاج الوطني والعمل على التعريب، ذلك لأن جميع الإنجازات كانت تتم بالعربية وتتضمن البرامج حصصا مدرسية مخصصة لتعليم العربية والبرامج ثقافية.

خاتمة

يمثل أحمد طالب الإبراهيمي نموذجا متميزا ضمن فئة الطلبة الجزائريين في المهجر، فكان أحد المساهمين في تأسيس اتحاد الطلبة المسلمين بين فترة جويلية 1955 ومارس 1956، وقد تولى إدارته وتفعيل نشاطه خدمة للقضية الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية وتعريف الوسط الطلابي خاصة في فرنسا والعالم بعدالة القضية وإبراز تضحيات الجزائريين من الاستقلال والانعقاد من الاستعمار والتحرر، كما ساهم في حشد الرأي العام عامة من

شخصيات وسياسيين وإعلاميين في أهم الصحف الفرنسية وكانت له لقاءات مع رؤساء حكومات وملوك ورؤساء دول.

الهوامش:

1 ولد البشير الإبراهيمي بأولاد براهيم، تعلم بمسقط رأسه على يد والده وعمه، ثم رحل سنة 1911م إلى الحجاز واستقر بالمدينة المنورة أين تلقى تكويناً عالياً في اللغة والفقه والعلوم الإسلامية، ومن المدينة انتقل إلى دمشق التي استفاد من مدارسها ومشايخها، ولدى عودته إلى الوطن استقر بمدينة سطيف وبها باشر مهمة التربية والتعليم، وكان على اتصال وثيق مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، وساهم معه في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2 عبد الكريم بوصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والاجتماعية والفلسفية، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص1.

3 أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، الجزء الأول، أحلام ومحن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص81، 82.

4 المصدر نفسه، ص86.

5 المصدر نفسه، ص86.

6 المصدر نفسه، ص90.

7 المصدر نفسه، ص91.

8 المصدر نفسه، ص92.

9 المصدر نفسه، ص92.

10 المصدر نفسه، ص93.

11 المصدر نفسه، ص95.

12 المصدر نفسه، ص97.

13 المصدر نفسه، ص101، 103.

14 العيد عبد السلام: من مواليد جويلية 1928، بمدينة عين الكبيرة ولاية سطيف، تقلد منصب رئيس الحكومة الجزائرية من 08 جويلية 1992 إلى أوت 1993 خلال فترة حكم الرئيس علي كافي.

15 المصدر نفسه، ص103.

16 عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص2، 3.

17 Ahmed Taleb Ibrahim: Op-cit, T 1, p.147.

18 Ibid, p.152.

19 حميد عبد القادر: دروب التاريخ، مقالات في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وثورة نوفمبر 1954، دار القصة للنشر، الجزائر: 2007، ص152.

20 Ahmed Taleb Ibrahim: Op-cit, T 1, p.180.

21 Ibid, pp.186, 187.

22 Ibid, p.191.

23 Ahmed Taleb Ibrahim: Op-cit, T 1, p.214.

24 Ibid, p.215.

25 Ibid, p.215.

26 خطب الرئيس هواري بومدين، ج3، ص187.

27 Mamri Khalfa: Citation du président Boumediene, édition S.N.E.D, Alger: 1975.p.75.

28 خطب الرئيس هواري بومدين : المصدر السابق، ج3، ص188.

29 المصدر نفسه، ج 4، ص.348.

30 ساجد أحمد السامرائي: "الإذاعة و التلفزة الجزائرية .الانطلاقة ومراحل تطورها."، مجلة البحوث اتحاد الاذاعات العربية، المركز العربي للبحوث بغداد ، 1986، ص.89.

31 كانت ميزانية الإذاعة والتلفزة لا تقل عن 50 ٪ من مجموع الميزانية المخصصة لقطاع الإعلام والثقافة، فقد ارتفع من 8.850.000 دج سنة 1964 إلى 26.000.000 دج وهو ما يمثل 89،91٪ من الإعانات لقطاع الإعلام، أنظر بيار ألبير : تاريخ الإذاعة والتلفزيون، تر محمد قدوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1984، ص.109.

32 بيار ألبير: المرجع السابق، ص.108.